مقتطفاتٌ من أقوال

پادري پيّو

جمعها وترجمها

أَديب مصلح

٢٠٢٣

الكاهن المصلوب

القدّيس پادري پيّو

تمهيد

لم يضع پادري پيّو مؤلّفاتٍ، غير أنّه نزولًا عند رغبة مرشده الروحيّ ومعرّفه، كان يدوّن تأمُّلاته ومشاعره، والتطوّرات الروحيّة التي يجتازها؛ وكان مئاتٌ من أبنائه الروحيّين يراسلونه مسترشدين، وكان يردّ عليهم برسائل.

وبعد وفاته جُمِعت تدويناته لمرشديه الروحيّين، ورسائله إلى أبنائه الروحيّين. وقد حفلت تلك الكتابات، بإضاءاتٍ على ما خاضه من صراعاتٍ مع قوى الجحيم، ومن تجارب مضنيةٍ، ومن ليل النفس الدامس، ومخاوف الوهن وإهانة الربّ، وأيضًا من رغبةٍ حارقةٍ في مشاركة المخلّص آلامه، من أجل افتداء الخطأة، وشفاء أمراض النفوس، ومن توثّبات الوجد الإلهيّ.

وقد أوردنا، في متن الكتاب بعضًا من هذه الكتابات التي تُعدُّ مرجعًا للباحثين عن مسيرة نفسٍ صوفيّةٍ فريدةٍ، ونكتفي، هنا بالتقاط أقوالٍ له بسيطةٍ، مسكوكةٍ بإيجازٍ، زاخرةٍ بالعِبَر في شتّى ميادين الحياة الروحيّة اليوميّة.

أقوالٌ بسيطةٌ، مُنعشةٌ، مضيئةٌ، نرجو أن تبعث في نفوس متأمّليها صدى صوت پادري پيّو، ووقع نبض قلبه، الذي لم يخفق إلّا حبًّا ليسوع، ولإخوته الذين افتداهم بدمه، وأحبّهم خادمه پيّو مثل حبّ الربّ لهم.

عسى أن يختار كلّ قارئٍ منها، كلّ يومٍ، خاطرةً، زادًا لحياته الروحيّة، وغذاءً لروحه.

★ حياةٌ روحيّةٌ

- عندما ترتعد النفس خشيةَ إهانة الله، تنجو من إهانته، وتنأى عن الخطيئة.

- في الحياة الروحيّة، يتضاءل تعبُنا، بقدر ما نجهد. وبقدر ما نجعل المسيح يحيا فينا بتضحياتنا وإماتتنا لذواتنا، نزداد سلامًا، وسعادةً، وقوّةً. وهذا السلام سيمهّد لفرحنا الأبديّ.

- في الحياة الروحيّة، يجب المثابرة على المضيّ قدمًا. ولا نتراجعَنَّ أبدًا، وإلّا فسيحدث لنا ما يحدث لمركبٍ متوقّفٍ في عرض البحر، وتدفعه الريح القهقرى.

- لا يبلغ أحدٌ شاطئ الخلاص، إلّا بعد اجتيازه بحرًا عاصفًا، ومعاناة تهديدٍ دائمٍ بالغرق.

- إنّها لنعمةٌ كبرى أن نبدأ حياتنا بخدمة الله في زهرة عمرنا. وكم يطيب لله أن نقدّم له باكورة شبابنا.

- **فلنلتزم الاستقامة في أفكارنا وأفعالنا، وليكن قلبنا دائمًا موجّهًا نحو الله، ولا يغربنَّ عن ذهننا أنّنا وُجِدنا على الأرض لكي نعرف الربّ، ونحبّه، ولكي يستضيفنا، هو، في مجده.**
- **يجب أن نحبّ الربّ حبًّا جمًّا، ولذلك يجب أن نحبّ التضحية.**
- **الدين هو خشبة الخلاص الوحيدة في طوفان الحياة العاصف.**
- **العقل يحتمل المصائب، والشجاعة تكافحها، أمّا الصبر والدين فيتخطّيانها.**
- **عندما نعجز عن التقدّم بخطواتٍ كبيرةٍ على الطريق، حيث يقودك الله، اكتفِ باجتياز خطواتٍ قصيرةٍ، وانتظر، صابرًا أن تكون لك سيقانٌ متينةٌ للركض، أو أجنحةٌ للطيران.**

★ الثّقة بالله

- **كنْ دائمًا فرحًا، مرتاح الضمير. واذكر أنّك في خدمة أبٍ لا حدود لعطفه. فلا شيء سوى حنانه يدفعه إلى معانقة خليقته، وإلى الارتقاء بها، وتحويلها إلى ذاته، هو خالقها.**
- **إنأَ عن الحزن، فهو حكرٌ على القلوب المتشبّثة بحطام هذا العالم.**
- **لا تقنط، فالربّ يكافئ النفس الجاهدة باطّرادٍ إلى إصلاح ذاتها، وسيجعل كلّ الفضائل تزدهر فيها.**
- **القلق هو الخطر الأكبر الذي يهدّد ممارسة الفضائل، والصلاةَ. فهو لا يدفعُنا إلى الجري إلّا لكي نتعثّر. فلنحذرْ منه في كلّ مناسبةٍ، وخاصّةً، أثناء الصلاة. إنّ الوسيلة المثلى لبلوغ هذا الهدف هو أن نذكر أنّ النعمة وتذوّق النعمة لا يأتياننا من الأرض بل من السماء. ومن ثمَّ، فإنّ جميع جهودنا في هذا المضمار لن تؤتي نفعًا. ومع ذلك، لا بدّ من التأهّب لهذا الهدف، تأهّبًا جادًّا، متواضعًا، هادئًا.**

- **حسبُنا إبقاء قلبنا منفتحًا، متوجّهًا نحو السماء، من أجل استقبال الندى السماويّ.**

- **فلنحفرْ عميقًا في ذاكرتنا قول الربّ: بكثيرٍ من الصبر ستخلّص نفسك.**

- **لا تقنط إذا عملتَ كثيرًا، وكان حصادك هزيلًا. فلو علمتَ كم تُكلِّف نفسٌ واحدةٌ يسوع، لما شكوتَ أبدًا.**

- **لن يتخلّى الله عنك، طالما ثبتَّ معه. في حين أنّ العالَم سيتبدّد، ويغرق في الظلام، ويتلاشى كالدخان.**

- **طالما كان الله معنا، فمَن نخاف؟ وحتّى إذا ظلّ الله متواريًا، وسط البروق وعصف الرعود، ألا يتعيّن علينا أن نفرح، بما أنّنا واثقون بقربه منّا؟**

- **في ساعة المِحَن، تمثّل بالطيور التي تبني أعشاشها على صواري السفن. ارتقِ فوق جاذبيّة الأرض، وارفع قلبك وفكرك صوب الله. فهو، وحدَه، قادرٌ على مواساتك، ومنحك القوّة على الصمود.**

- بالمِحَن يجتذب الله النفوس العزيزة إليه.

- هل تخاف وأنت بين ذراعَي الله؟

- إذا أطبق الخوف عليكم وأخذ بخناقكم، فاهتفوا مثل القدّيس بطرس: "أنقذني يا ربّ!" وهو سيمدّ لكم يده، فتمسّكوا بها، وامضوا برشاقةٍ وفرحٍ. وحتّى إذا انقلب العالم رأسًا على عقبٍ، وساد الظلام، والدّخان، والضوضاء، فالله باقٍ معكم.

- ها إنّك داخل علّيقةٍ ملتهبةٍ، تملأ الجوّ بدخانها. وقد غدا فكرك عاجزًا عن رؤية شيءٍ، أو عن فهمه. ولكنّ الله يتكلّم، ويحضر في النفس التي تُصغي، وتسمع، وتحبّ، وترتعش.

- أسوأ إهانةٍ نُلحقها بالله هي الشكُّ بعطفه.

- التّوق إلى السّلام الأبديّ جيّدٌ ومقدّسٌ. ومع ذلك يحسن الحدّ منه بالاستسلام التامّ للمشيئة الإلهيّة. فتتميم مشيئة الله على الأرض خيرٌ من التمتّع بالفردوس.

- نحن نعي أنّنا لا نستحقّ صفح الربّ، ومع ذلك، لا يساورنّنا شكٌّ في لانهائيّة رحمته.

- **أجمل فعل إيمانٍ هو الذي يتفجّر من شفتَيْك، وأنت في ظلمةٍ دامسةٍ، وفي غمرة التّضحيات والآلام، والعزم العنيد على عمل الخير. هذا الفعل نظير الصاعقة يمزّق ظلام نفسك، ويقيك من البروق والعواصف، ويرتقي بك، ويقتادك إلى الله.**

- **العدوّ شديد القوّة، ووفق الحسابات البشريّة، النصر يبتسم له. فمن عساه يُنقذني من يديه المنيعتَيْن، وهو لا يهادنني لحظةً، لا نهارًا ولا ليلًا. هل يسمح له الربّ بقهري؟ وا أسفاه! أنا أستحقّ هذا المصير، ولكن أرجوك، يا ربّ، ألّا تسمح به أبدًا.**

★ حسن استخدام الوقت

– فلنصارح ذواتنا: "يا نفسي، لم تفعلي شيئًا حتّى اليوم. فابدئي بفعل الخير منذ اليوم.

ولنحيَ، في كلّ لحظةٍ، بحضور الله قائلين: "الله يراني". ولنردّد هذا القول طول النّهار.

الله أيضًا يراني ويدينني. فعسى ألّا يكون لضميري عليّ مأخذٌ في نهاية النّهار.

– لا نهدرنَّ الوقت، ولا نُرجِئنَّ للغد ما نستطيع فعله اليوم. إنّ القبور ملأى بالنوايا الحسنة... ومن يضمن لنا أن نكون غدًا أحياءً؟

– نحن لا نملك سوى اللحظة الرّاهنة. فلنحرص عليها، ولنحيَها على أنّها كنزٌ وُهِبناه.

– ما أثمن الوقت: وما أسعد الذين يستفيدون منه، إذ علينا أن نقدّم عنه حسابًا، يوم الدّين.

- **ليس الوقت ملكنا، فلا نبدّدْه.**
- **عندما ندرك قيمة الوقت، سيجهد كلٌّ منّا في اكتساب النّفع الأقصى منه.**
- **لنفعل الخير طالما تيسّر لنا وقتٌ لذلك، وبذلك سنُمجّد أبانا السماويّ، ونقدِّس ذواتنا، ونقدّم للآخرين مثالًا صالحًا.**

★ المحبّة

- أوثرُ أن أُطعَنَ بسيفٍ من أن أُزعِج أحدًا.
- إبحث عن العزلة، إذا شئت. ولكن احذر من أن تنتقص محبّتك لأحدٍ. فالإخلال بالمحبّة يحاكي ضرب الآخر في بؤبؤ عينه، وهو خطيئةٌ.
- أعمال الخير من حيثما أتت، هي بنات أمٍّ واحدةٍ: العناية الإلهيّة.
- رؤية الألم توجعني أقسى وجعٍ. فلا أحجم عن أيّ عملٍ كفيلٍ بتخفيف ألم نفسٍ.
- لا أطيق اغتيابًا ولا نميمةً، فلدينا قدرٌ وافٍ من العيوب، التي علينا إصلاحها. فعلامَ البحث عن عيوب الآخرين؟
- الإخلال بالمحبّة يقضي على شجرة الحياة في جذورها، ويُهدّد بالجفاف.
- المحبّة تنسى، وتغفر، وتعطي كلّ شيءٍ.

- المحبّة هي ملكة الفضائل. هي التي تبقيها مضمومةً، مثل السلك الذي يضمّ حبّات العقد. وكما أنّ الحبّات تسقط عندما يُقطَع السلك، كذلك ضعف المحبّة يبدّد سائر الفضائل.

- إنّي أقدِّم كلّ ذاتي لكلّ إنسانٍ. ويحقّ لكلّ فردٍ أن يقول: "پادري پيّو هو لي". إنّ محبّتي لإخوتي في المنفى جمّةٌ. أحبّ أبنائي الروحيّين، مثل حبّي لنفسي، بل أكثر، لأنّي ولدتُهم في يسوع بالألم والمحبّة. قد أنسى ذاتي، ولكنيّ لا أستطيع نسيان أبنائي الروحيّين. وأستطيع التأكيد بأنّني عندما سيستدعيني الربّ إليه، سأقول له: "يا ربّ، أفضّل البقاء عند باب فردوسك، وألّا أدخله حتّى أرى دخول آخر أبنائي إليه".

- يؤلمني جدًّا عجزي عن منحي الله جميع إخوتي، وأكاد أموت حزنًا، عندما أرى العديد من النفوس المتألّمة، وأنا عاجزٌ عن مواساتها، وعندما أرى إخوةً لي كثيرين يتعاقدون مع الشيطان.

- فعل محبّةٍ واحدٌ يُؤدَّى في فترة جفافٍ روحيٍّ، يُساوي أكثر من مئة فعلٍ تُؤدَّى في فترة التعزيات.

- المحبّة هي المعيار الذي يحاسبنا الله بموجبه.
- تذكّر أنّ المحبّة هي أساس الكمال. مَن يحيَ في المحبّة يحيَ في الله. لأنّ الله محبّةٌ.
- الموت أو المحبّة، فالحياة بلا محبّةٍ هي أسوأ من الموت.
- يجب أن تقترن المحبّة بالحذَر. فللحذَر عيونٌ، وللمحبّة قدمان. المحبّة تريد الجري نحو الله، ولكنّ اندفاعها نحوه أعمى، وقد يجعلها تتعثّر، إن لم ترشدها عيون الفطنة. وعندما تتبيّن الفطنة أنّ المحبّة معرّضةٌ للاختلال فإنّها تعيرها عينيها.
- لا نَمَلَّ من سؤال الله أن يُنمّي فينا نعمَتَيْ المحبّة والخوف معًا. فالمحبّة تدفعنا إلى الجري على دروب الربّ، والخوف يحثّنا على تحرّي محطّ أقدامنا. أحدهما يساعدنا على تقييم الوقائع حقّ قيمتها، والآخر يحمينا من كلّ إهمالٍ.
- تمثّلوا بالنّحلات، فهي لا تزوّد خليّتها إلّا بالعسل، والسلام والوئام، والتواضع والنشاط.

- المحبّة، وحدها كفيلةٌ بترويض نزعة التمرّد فينا، لأنّها تتكلّم بلغة الثقة. وبقدر ما تكون المحبّة جميلةً وصادقةً عندما تكون تقدمةً للآخرين، تكون زائفةً، إن كانت ادّعاءً، وبحثًا عن مصلحةٍ ذاتيّةٍ.

- أيّها الأطبّاء، عليكم أداء رسالةٍ، مثلما عليّ أداء رسالةٍ. إنّي أحدثّكم عن واجبٍ، في زمنٍ اقتصر فيه الناس على التحدّث عن حقوقٍ. رسالتكم هي معالجة المرضى. ولكن، إن لم تعطوهم المحبّة، أخشى أن تكون عقاراتكم عقيمةً، وبلا طائلٍ.

ولا بدّ أن تعبّروا عن المحبّة بأقوالكم. عبّروا عن محبّتكم لهم بأقوال تساعدهم روحيًّا ونفسيًّا.

احملوا الله إلى المرضى، فهو يؤتيهم من الخير أكثر من كلّ العلاجات.

- في كلّ فقيرٍ يئنّ يسوع، وهو يئنّ ألمًا في المريض. وفي الفقير المريض يسوع يئنُّ مرّتَيْن.

- فليكن لك، دائمًا، قلب قاضٍ حيالَ ذاتك، وقلب ابنٍ حيالَ الله، وقلب أُمٍّ حيالَ الغريب.

- المحبّة هي قبسٌ إلهيٌّ، هي جوهر الله الذي جسّده الروح القدس. هي، إذن، حبٌّ لله بلا تحفّظٍ، مقابل ما يُغدقه هو علينا من حبّه. ومن ثمّ يجب أن يكون حبّنا بلا حدودٍ. ولكن، وا أسفاه، الله وحده لا محدودٌ. فعلينا، على الأقلّ، أن نحبّه، بكلّ قوانا، بكلّ كياننا، لكي نسمع يسوع يقول لنا، ذات يومٍ: "كنتُ جائعًا فأطعمتني، وكنتُ مريضًا فعالجتني".

- عندما يتنامى إلى علمي أنّ إنسانًا مفجوعٌ في جسده، أو في نفسه، أفعل كلّ شيءٍ لكي أُنقذه من بؤسه. وبطيب خاطرٍ آخذ على ذاتي كلّ شدائده، لكي أراه مخلَّصًا، بفضل ثمار آلام الربّ.

- فلتكن تضحيتك بذاتك هي موعظتك. وليكن حضورك في مكانٍ منبعَ فرحٍ فيّاضٍ، وليتّخذ شكل بسمة الله.

- إنّي، راغبٌ في أخذ كلّ آلام البشر على عاتقي، لكي أراهم جميعهم سعداء.

★ حبّ الله

- يا ربّ، أنت تأتي دائمًا إليّ. فما عساي أقدّم لك؟ حُبّي؟ إنّه خادعٌ. أنت تعلم، يا ربّ، أنّني أحبّك حقًّا، فتعالَ وعوّض عن ضآلة حبّي.

- لو كان لديّ عددٌ لا يُحصى من القلوب، كلُّ قلوب السماء والأرض، وحتّى قلب الأُمّ السماويّة، لقدّمتُها لك يا يسوع.

- فليكنْ لنا الربّ، دائمًا، وفي كلّ وضعٍ، الدرع والسنَد، والحياةَ.

- نحن، جميعنا، غير جديرين بتناول جسد الربّ. ولكن، ثمّة فرقٌ بين التناول في حالة الخطيئة الجسيمة، والتناول بلا استحقاقٍ. فما من أحدٍ يستحقّ هذه النعمة. ولكنّ يسوع هو الذي يدعونا، وهو الذي يرغب في أن نتناوله. فلنتّضع، ولنتقبَّله بقلبٍ طافحٍ حبًّا.

- لا تغادر الهيكل، بل اسفكْ دموع توبةٍ، وحبٍّ ليسوع الذي صُلِب من أجل خلاصك الأبديّ.

- طِرْ بالفكر إلى مخبأ القربان عندما تكون عاجزًا عن الذهاب إليه، جسديًّا. وهناك، بُحْ لمحبوبك برغباتك، وكلّمْهُ، وصلّ بين يدَيْه.

- حيالَ سرّ الله الضحيّة الرهيب، أرغب لا في سفك دمعتَيْن، أو ثلاث دمعاتٍ، بل وابلًا من الدموع، ولن أتعب من الوقوف طويلًا أمامه. وفي الواقع لا أُعاني تعبًا، لأنّي أشعر أنّي معلّقٌ على الصليب، ومتألّمٌ معه.

- هل لدينا، نحن الكهنة، خدّامه، قدرٌ وافٍ من الأهليّة والاحترام لسرّ القدّاس العظيم؟

القدّاس علاقةٌ مقدّسةٌ بين يسوع وبيني. ومع أنّي غير مستحقٍّ. فإنّي أُقاسي كلّ الآلام التي قاساها ذاك الذي تنازل وأشركني في مهمّة الفداء.

- عندما تشترك في القدّاس، عِشْ إيمانك مجدّدًا ما صنع الذي قدّم ذاته ضحيّةً عنك.

- يستطيع العالم العيش بلا شمسٍ، ولكنّه لا يستطيع العيش بلا إفخارستيّا.

- في هذا الزمن المُحزن، حيث انقرض الإيمان، وانتصر الفجور، فإنّ خير وسيلةٍ لاتّقاء هذا الشرّ، هو التغذّي بالإفخارستيّا.

- أيّها الربّ يسوع، خلّص الجميع. وأنا أقدّم ذاتي ضحيّةً عنهم. هبْ لي القوّة، خُذْ قلبي، واملأه بحبّك، ثمّ اطلب منّي كلّ ما تريد.

- اشكر الله عندما يضربك، لأنّ يده هي يد أبٍ يحبّك حبًّا جمًّا.

- الفكر البشريّ الذي لا يلهبه الحبّ الإلهي، ينزع إلى رؤية كلّ شيءٍ بمنظارٍ بهيميٍّ، على نقيض الحبّ الإلهيّ الذي يرقى بالإنسان إلى عرش الله.

- نذكّر أنّ الذين أوسعوا يسوع إهاناتٍ، هم الذين أغدق عليهم إحسانه. ولذلك لا تشكُ من الإهانات المنهالة عليك، أيًّا كان مصدرها، بل اغفر كلّ إهانةٍ، محدّقًا باستمرارٍ إلى مثال الربّ الذي سأل أباه أن يغفر لمن صلبوه.

- لا تنأَ عن مذبح التضحية الإفخارستيّة، إلّا وأنت ممتلئٌ ألمًا وحبًّا ليسوع المسيح، الذي صُلِب من أجل خلاصك. وستواكبك السيّدة العذراء، وتلهمك الصلاة.

- دع الناس يشيعون وينشرون ما يشاؤون. فأنا أخاف حكم الله، لا حكم البشر. ولا نخافنّ إلّا من الخطيئة التي تهين الله وتدنّسنا.

- عطف الله هو من العظمة بحيث إنّه لا يكتفي بالإعراض عن نبذ النفوس التائبة، بل إنّه يسعى بحثًا عن النفوس العنيدة في ضلالها.

- يا يسوع، أشركنا في نصرك على الأرض لكي يكون لنا نصيبٌ في ملكوتك السماويّ. هبْ لنا القدرة على تبليغ حبّك، وإعلان ملكك الإلهي، بقدوة حياتنا وأعمالنا. وامتلك قلوبنا على هذه الأرض كي نكون لك أبديًّا. ولا تسمح بأن ننأى عن مشيئتك، وبألّا يفصلنا عنك حياةٌ أو موتٌ. لتستمدّ حياتنا وجودها من نبعك، يا مخلّصنا، كي نُمسي رسُلًا مبشّرين بملكوتك، تبشيرًا لا عهد له بالكلل. ولنمُتْ، كلّ يومٍ، عن ذواتنا، لكي نحيا لك وحدك.

- **الوقت المكرّس لتمجيد الله، ولخلاص النفس ليس أبدًا مهدورًا.**
- **وهبنا يسوع ذاته كاملةً، وبلا حدودٍ. فلنجهد بمقابلته بالمثل، ولنمنحه ذاتنا بحبٍّ مماثلٍ... ونحن نعلم أنّه بمنحنا ذاته يمنحنا الفردوس.**
- **متاعب الدنيا بأجمعها أقبلها، يا إلهي، وأرغب في أن تكون نصيبي. ولكنّني لن أرتضي، أبدًا، أن يفصلني عنك عدم حبّي لك. أرجو أن أنعم، أبديًّا، ببهاء محيّاك الفائق، وألّا أفقد، أبدًا، الكنزَ النفيس، أي ما أنت لي، يا ربّي وإلهي. فما أعذب الرقّة المنهمرة من عينيك! إنّها تُعجِز الوصف!**
- **لا ننجو من حبّ ذواتنا إلّا بحبّنا الصادق لله.**

★ التأمّل

- **تجتاز النّحلات مسافاتٍ شاسعةً خلال الحقول قبل عثورها على الزهرات التي تريدها. وعندما تتعب، وترضى بحصادها من غبار الطلع، ومن رحيق الزهور، تعود إلى خليّتها من أجل تحويل ما جمعته، تحويلًا صامتًا، خصبًا، جاعلة رحيق الزهور، رحيق حياةٍ. فاحذوا حذوَها، وبعد سماعكم الكلمة المقدّسة، تأمّلوها بعنايةٍ، وتقصّوا جميع جوانبها، وابحثوا عن معناها العميق. حينئذٍ، ستصبح لكم واضحةً، نيّرةً، وقادرةً على تحويل ميولكم الطبيعيّة إلى سموٍّ روحيٍّ صافٍ، وسيتّحد قلبكم بقلب الربّ اتّحادًا أشدّ وثوقًا.**

- **لا يسوغ أن يخلو أيّ يومٍ من أيّام المسيحيّ من التأمّل في آلام الربّ.**

- **ينبغي التمثّل بالمسيح. وللوصول إلى هذا الهدف، لا بدّ من المثابرة على تأمّل الإنجيل، كلّ يومٍ. فمن هذا التأمّل، يتفجّر حبّ يسوع، والرغبة في التمثّل بأفعاله.**

- كن صبورًا، وثابر على ممارسة التأمّل. في البدء اكتفِ بالتقدّم بخطواتٍ وئيدةٍ، وبعدئذٍ، لن ترغب ساقاك إلّا في الركض، وسترغب في أجنحةٍ للطيران.

- من لا يتأمّل يحاكي، إلى حدٍّ ما، من لا ينظر إلى المرآة، ولا يهتمّ بمظهره عندما يخرج، ولا يعرف هل هو لائقٌ أم قذرٌ.

الله هو مرآة نفسنا. من يتأمّل، ويحوّل فكره إلى الله، يسعى إلى تبيّن عيوبه، ويجهد في إصلاحها، ويلجم نزوات هواه، ويرتّب ضميره.

- فشلك في إتقان التأمّل هو أنّك تستهلّ تأمّلك مضطربًا، قلقًا. وهذا كافٍ لكي لا تعثر أبدًا على مبتغاك، لأنّ فكرك يفتقر إلى التركيز على الحقيقة المنشودة، ولأنّ قلبك خاوٍ من الحبّ.

هذا القلق باطلٌ. ولن تجنيَ منه إلّا تعبًا روحيًّا، وفتورًا لا سيّما في الميدان الرّوحيّ. إنّي لا أجد مخرجًا من هذا المأزق إلّا التخلّص من القلق، فهو العائق الأكبر دون الممارسات الدينيّة، وحياة الصلاة. فالقلق يجعلنا نركض كي نتعثّر.

★ الصليب والألم

- آلامك الجسديّة والنفسيّة، هي التقدمة المثلى، والأكثر لياقةً بمن خلّصنا بآلامه.
- حدّق إلى يسوع المصلوب، وإلى جسده المُلقَى بين يديك، وقلْ: "أنت رجائي"، ومنبع فرحي. إنّي أرتبط بك بكلّ كياني، ولن أدعك حتّى تشيع في نفسي الأمان".
- تقبّل كلّ ألمٍ، وكلّ سوءٍ، فهما يأتيان من السماء. وهما وسيلة بلوغك الكمال، وتقديس نفسك.
- الحياة كفاحٌ يجب ألّا ننسحب منه، بل ينبغي أن ننتصر فيه.
- القلب الطيّب هو دائمًا قويٌّ: يتألّم مُخفيًا دموعه، ويجد عزاءه في التضحية من أجل الآخرين، وكُرمى لله.
- من يشرع بالمحبّة، يجب أن يتأهّب للألم.
- بعد الخطيئة الأصليّة، أمسى الألم مواكبًا للخليقة، فهو رافعةٌ تنتشل العالم، والذراع اليُمنى للحبّ الذي يبتغي إعادة خلقنا.
- كلّ فداءٍ هو سرٌّ دامٍ.

- لا تخشَ المصاعب، فهي تقتادك إلى الصليب. والصليب يقتادك إلى أبواب السماء، حيث يُقيم قاهر الموت الذي سيدخلنا إلى الأفراح الأبديّة.
- يجب أن نحبّ الربّ حبًّا جمًّا. ولذلك يجب أن نحبّ التّضحية.
- حين تقبل مشيئة الله ولو كانت مؤلمةً، تقوم بفعل حبٍّ. وعندما كنت تنأى عن يسوع، لم يتخلَّ هو عنك. فهل يتخلّى عنك الآن، وأنت تبرهن له عن حبّك بمعاناتك الاستشهاد؟
- فلنرتقِ طوعًا تلّة الجلجلة، حبًّا لمن ضحّى بنفسه حبًّا لنا. ولنكن صابرين، وواثقين بأنّنا سنطير صوب جبل طابور.
- أجل، أُحبّ الصليب، ولا شيء غير الصليب. أُحبّه لأني أراه، دائمًا، على كتف يسوع.
- خدّام الله الحقيقيّون، يقدّرون قيمة المِحَن، فهي تتماشى مع دروب الربّ الذي خلّصنا بالصليب والمهانة.
- الألم هو نصيب المختارين. وإنّ الله صانع كلّ نعمةٍ، وكلّ ما يقود إلى الخلاص. وقد ابتغى الله أن يهبنا المجد بالألم الذي نحتمله بروحٍ مسيحيٍّ.

- أحبّ الألم دائمًا، فهو ليس عمل الحكمة الإلهيّة فقط، بل إنّه يظهر لنا حبّ الله.
- الحياة جلجلةٌ، حقًّا، ولكن يجب أن نتسلّقها بفرحٍ.
- الصلبان جواهر يقدّمها العريس. وأنا أتمتّع بآلامي، وأتوجّع فقط عندما لا أتألّم.
- إله المسيحيّين هو إله التحوّل الجوهريّ. قدّمْ له مِحَنَك، فتَجْنيَ منها السّلام، خيباتِ رجائك، فتمتلئَ رجاءً.
- الأمر الذي يحسدنا عليه الملائكة أنفسهم، هو التألّم من أجل الله. فهذا الألم وحدَه، يسمح للنفس أن تقول بصدقٍ: "يا الله أنت ترى أنّي أحبّك".
- أجمل عمل إيمانٍ يتفجّر من قلوبنا في ليل النفس، هو أن نضحّيَ ونتألّمَ ونبذلَ أقصى جهدنا لعمل الخير، الذي لا يفتر. إنّه مِثل برقٍ يمزّق ظلمات النفس، ويحملها، من غمار العاصفة إلى صميم قلب الله.
- على كلّ من اختار النصيب الأمثل أن يختار آلام المسيح، ومشاركته غمّه في البرّيّة، وفي بستان الزيتون، وعلى الصليب.

- يُعدّ الفنّان الإلهيّ الحجارةَ التي سيستخدمها في بناء الصّرح الأبديّ، بضربات إزميلٍ متكرّرةٍ، تُكمِل صقلها.
- ما الصليب إلّا سؤالٌ يحمل الفصح الإجابة عليه.
- أنا لا أحبّ الألم لذاته، بل للثمار التي أجنيها منه. فهو يمجّد الله، ويخلّص إخوتي في المنفى، ويحرّر نفوس المطهر. فما عساي أتمنّى أكثر من ذلك؟
- ما هو الألم؟ هو تكفيرٌ وفداءٌ. وهو خبزي اليوميّ، وسعادتي.
- إنّنا ننزع إلى رفض الاعتراف بأنّ الألم هو ضروريٌّ لنفوسنا، وأنّ على الصّليب أن يكون خبزَنا اليوميّ.
- الصّليب حاجةٌ للنفس، مثل حاجة الجسد للطّعام، يومًا فيومًا. فهو الذي يطهّر النفس، ويحرّرها من تعلّقها بالخلائق.
- يصعب علينا فهم أنّ الله لا يُريد، ولا يستطيع أن يُخلّصنا، إلّا بالصّليب.
- أثناء حياتك لا يطلب منك الربّ أن تحمل معه كلّ ثقل صليبه، بل، فقط، جزءًا زهيدًا منه، بتقبّلك آلامك.
- في الجلجلة حصل يسوع على فدائنا، وفي الجلجلة ينبغي أن يتحقّق خلاص النّفوس المفتداة بدمه.

- يحتاج الربّ إلى أشخاصٍ يتألّمون معه، من جرّاء افتقار البشر إلى التّقوى. ولذلك يقتادني على دروب الآلام. فليتبارك، لأنّ حبّه يحوّل هذه الآلام المؤقّتة إلى استحقاقاتٍ أبديّةٍ.
- الألم مصدر فرحٍ. والمنفى جميلٌ. لأنّ مَن يتألّم يصبح لديه ما يقوله لله.
- قد يُشعرك الربّ بوزن الصّليب، فيبدو لك أنّه لا يُحتَمَل. ومع ذلك تحمّله. لأنّ الرب الزاخر حبًّا ورحمةً، يمدّ لك يد العون، ويهبك القوّة اللازمة.
- إذا أذن الله أن تعاني قسوة الحياة فالتزم الهدوء والصبر، وحينئذٍ، سيكون حبّك لله مجانيًّا، كما هو حبّ القدّيسين لله.
- واكبوا دائمًا، يسوع في الجتسماني، فيحسن مواساتكم وعملكم عندما تداهمكم الهواجس.
- إتقان المحبّة هو إتقان الألم.
- حتّى المطهر يصبح عذبًا عندما نتعلّم التألّم بدافع الحبّ.
- تقود العناية الإلهيّة الأفراد والأمم إلى غايتها القصوى، عبر تناوب الأفراح والدموع.

- الجلجلة هي جبل القدّيسين، ومنها يُصار إلى طابور.
- الحياة كفاحٌ مستمرٌّ ضدّ الذات، ولا تزدهر إلّا في الألم.
- إنّي أتألّم ألمًا شديدًا. ولكنّ الله يهرع إلى عوني، فأشعر أنّي ما زلت أملك شيئًا من القوّة. وبمعونة يسوع تقوى الخليقة على كلّ شيءٍ.
- يجدر بنا أن نتقبّل المِحَن التي يرسلها لنا الله، بطيب خاطرٍ. وعندما ننهج على هذا النحو، لا يراودنا همّ التحرّر من المِحَن، فيسوع الذي لا يرضى بأن يرانا مغمومين طويلًا، يسارع إلى مواساتنا ومؤازرتنا.
- التضحية هي خلاصنا.
- من لا يحرم نفسه من أيّة متعةٍ مباحةٍ، لن يلبث أن يستسلم للمتع المحرّمة.
- الموت أو حبّ الله، ليس لديّ رغبةٌ أُخرى.
- لكي يجتذبنا الله إليه يغدق علينا نعمه، بحيث يُخيَّل إلينا، أحيانًا، أنّنا نلمس السماء بأناملنا. ولكنّ نموّنا في الإيمان يقتضي منّا تناول الخبز الجافّ: أي الصلبان، والإهانات، والمعارضة.

★ النّواضع

- **الغرور هو عدوّ المكرّسين لله، وهو خطرٌ على الحياة الروحيّة. وهو يُعَدّ، بحقٍّ، طاعونَ النفس الساعية إلى الكمال. وقد سمّاه القدّيسون "الدودة التي تنخر القداسة".**
- **يصعب عليّ إدراك كيف يقدر إنسانٌ عاقلٌ ذو حكمٍ سليمٍ، أن يكون متكبّرًا.**
- **أحبّوا تلاشيكم، أي كونوا متواضعين هادئين، وُدَعاء، واثقين في أوقات الظلمات والعجز. ولا تقلقوا، ولا تجزعوا، ولا تضطربوا، بل تقبّلوا صلبانكم، وظلماتكم، بطيب خاطرٍ.**
- **هناك فرقٌ بين فضيلة التواضع، وإرادة التلاشي الطوعيّ. فالتواضع هو اعتراف الإنسان بعدمه. أمّا قمّة التواضع فهي أن يقرّ الإنسان بكونه لا شيء.**
- **في هذا العالم لا يستحقُّ أحدٌ شيئًا، فالربّ هو الذي يهبنا كلّ شيءٍ. بعطفه الصرف، ولأنّه، في رحمته اللامحدودة يغفر لنا كلّ خطايانا.**

- **أساس القداسة، وركن الطيبة، هما ما وصف يسوع بهما ذاته، وقدّمهما نموذجًا: "خذوا نيري عليكم وتتلمذوا لي، لأنّي وديعٌ ومتواضع القلب، فتجدوا الرّاحة لنفوسكم. أجل، إنّ نيري ليّنٌ وحِملي خفيفٌ." (متّى ١١: ٢٩): التواضع الداخليّ أكثر من التواضع الخارجيّ. اعترف إذن بأنّك، حقًّا، عدمٌ، بائسٌ، ضعيفٌ، معجونٌ بالعيوب، وقادرٌ على تحويل الخير شرًّا، وإيثار الشرّ على الخير، وعلى ادّعائك الصّلاح، وتبرير شرورك، واحتقارك مَن هو الخير الأعظم، لأنّك تحبّ شرورك.**

- **التواضع هو اعترافٌ بحقيقة أنّي لست سوى عدمٍ، وأنّ كلّ ما هو جيّدٌ فيّ هو من الله. إنّ الاعتراف بأنّ الربّ يأتي إلينا، كلّ يومٍ، ويهبنا كلّ شيءٍ، هو دعوةٌ إلى الاتّضاع. ولكنّ ما يحدث واقعيًّا هو نقيض ذلك، لأنّ إبليس ينفخ فينا شحنات كبرياء.**

- **تواضع القلب الحقيقي يُعاش، ويُشعَر به، أكثر ممّا يُشاهَد للعيان. علينا أن نتواضع أمام الله، على ألّا يكون تواضعنا زائفًا، ويقودنا إلى التخاذل، والانهيار والقنوط.**

- الأنانيّة هي ابنة الكبرياء، ولكنّها أسوأ من والدتها.
- التواضع والمحبّة يسيران معًا، أحدهما يمجّد، والآخر يقدّس.
- قد نحتاج إلى الصبر كي نحتمل مضايقات الآخرين، ولكنّنا نحتاج إلى مزيدٍ من الصبر كي نتعلّم احتمال ذواتنا.
- إذا أسأت البناء، دمّر كلّ شيءٍ، وأعد البناء على أُسُسٍ جديدةٍ.
- نظرًا لخياناتك اليوميّة فلا تكفَّ عن القيام بأفعال تواضعٍ. وعندما يرى الله ندامتَك سيمدّ لك يدَه ويجتذبك إليه.
- لا تكفَّ عن أعمال التواضع والمحبّة حيال الله والبشر، فإنّ الله يتكلّم مع من يحافظ على قلبٍ متواضعٍ، ويغنيه بمواهبه.
- لنبدأْ بالتطلّع إلى العلاء، ثمّ فلننظر ذواتنا، فيدفعنا البون الشاسع بين السماء وهوّتنا إلى التواضع.
- فلنتّضع في كلّ أمرٍ، ولنَصُن طهر قلبنا وجسدنا، بعنايةٍ، فهما الجناحان اللذان يحلّقان بنا، ويؤلّهاننا.

- **اتّضع دائمًا أمام الله، وأمام البشر، وحينئذٍ، يكلّمك الله، حقًّا، ويغنيك بمواهبه.**

- **إيّاك من الانهيار تحت عبء هشاشتك الروحيّة. فإذا سمح الله أن تتردّى إلى مساقط الوهن، فهو لا يبتغي التخلّي عنك. بل، على نقيض ذلك، يبتغي تثبيتك في التواضع والسّهر.**

- **اكتفِ بالطاعة. وارتضِ ألّا تكون سوى نحلةٍ صغيرةٍ في الخليّة. فلا تلبث أن تغدو من أنشط العاملات على إنتاج العسل.**

- **لازدراء العالم يكفي الإصغاء إلى العقل، ومن أجل ازدراء الذّات، يجب الإصغاء إلى الله.**

- **فلنَزْدَدْ دائمًا إمعانًا في هاتين الفضيلتَيْن: الرقّة حيال القريب، والتواضع أمام الله.**

★ التّجارب

- **حذارِ من الاضطراب أثناء مقاومة التجارب، فالاضطراب يُكسب التجارب عنفًا. ازدرِها، إذن، ولا تبالِ.**
- **التّجربة هي دليل عطف الربّ.**
- **لا ترعبنَّك التّجارب. فبها الله يمتحنك، ويقوّي نفسَك، ويهبك القوّة على قهرها.**
- **عندما يهاجمك الشرّير، يجب أن تلوذ بالربّ، حيث ستجد رجاءك، وعليك أن تنتظر كلّ عونٍ منه.**
- **لا تمعِنْ تفكيرًا في ما يعرضه عليك إبليس. واذكرْ أنّ من يسارع إلى الهرب هو، غالبًا، المنتصر.**
- **ثق أنّ اشتداد هجمات إبليس ينبئ بأنّ الله يقترب منّا.**
- **تأكّد أنّ النفس هي مرضيّةٌ لدى الله بقدر ما تُمتَحَن.**
- **نحن نعي أنّنا لا نستحقّ صفح الربّ، ومع ذلك، لا نرتاب في لانهائيّة رحمته.**
- **على النفس التي تودع في الله ثقتها ألّا تخشى شيئًا.**

- **يا لسعادة الصراعات الروحيّة! حسبُنا المثابرة على إرادة الكفاح، كي نضمن الانتصار. احرص على ألّا تفقد الشجاعة، عندما تشعر بوهنك النفسيّ. وإذا سمح الله أن تكبو، أحيانًا، فهو، بذلك، لا يتخلّى عنك، بل إنّه يبتغي تلقينك التّواضع والسّهر، بعد ذلك.**
- **لا يكفّ الشرّير يترصّدنا بغية سلبنا ثقتنا في أبينا السماويّ. فلنحذر من السماح له بسلبنا دفّة خلاصنا هذه.**
- **لا يدخل إبليس إلى نفسنا إلّا من باب إرادتنا. وليس لديه مداخل سرّيّةٌ.**
- **يقول لنا الرّوح القدس لا تدعوا فكرَكم يتهاوى أمام التجربة، ولا تحزنوا. ففرح القلب هو حياة النّفس. الحزن لا يجدي نفعًا، بل يسبّب موتنا الرّوحيّ.**
- **عدوّنا يقوى على الضعفاء. ولكنّه يجبُن أمام من يواجهونه شاهرين السلاح.**
- **النفس التي تخرج من التجربة منتصرةً تحاكي معدنًا طهّرته بوتقة النار.**
- **أوثر الموت ألف مرّةٍ على ارتكاب خطيئةٍ واحدةٍ.**

★ صبرٌ وفطنةٌ وسلام نفسٍ

- **أظهرت، يومًا، إعجابي، بزهور شجرةٍ ناصعة البياض. فقال الأب: "أجل إنّها جميلةٌ، ولكنّ الثمار ستكون أجمل من الزّهور".**
- **إذا أحسنّا التزام الهدوء والصبر، فسننعم بالسلام وبالله.**
- **فلنتقدّم على دروب الربّ ببساطةٍ، وبمعزلٍ عن الهموم. ولنبغض عيوبنا بغضًا صريحًا، ولكن، بهدوءٍ وبمنًأى عن الاضطراب. ولنلتزمْ الصبر في معالجتها، ولنكسب منها تواضعًا مقدّسًا. فبمعزلٍ عن الصبر ستتفاقم عيوبنا عوضًا عن زوالها. فلا شيء يدعم عيوبَنا أكثر من القلق بشأنها، ومن هوس التخلّص منها.**
- **ما أتعس الذين ينخرطون في زوبعة هموم العالم. فبقدر حبّهم للعالم تزداد أهواءُهم. وبقدر ما تتأجّج رغباتهم يزدادون عجزًا عن التقدّم في الحياة الروحيّة. وحينئذٍ، تحطِّم الهموم، ومظاهر نفاد الصبر، والخلافات، القلوبَ الخاوية من الحبّ المقدّس.**

- روح الله هو روح سلامٍ. ومن ثمّ فحيالَ أخطائنا الكبرى علينا أن نتألّم بهدوءٍ وتواضعٍ وثقةٍ، وألّا نذهل عن رحمة الله تعالى. وعلى نقيض ذلك، يثيرنا روح الشرّ، ويملأنا غيظًا على ذواتنا بسبب أخطائنا، وهذا الغيظ ليس آتيًا من الله، بل من الشرير.

- لا تدع غيرتك على عمل الخير تقترن بالمرارة، أو بوسواس الكمال الذي ينقلب قلقًا. بل فلتكنْ منزّهةً من كلّ عيبٍ، عذبةً، مُحبّةً، ومنبع سلامٍ وطمأنينةٍ.

- تصوّروا امرأةً تطرّز، وابنها الصغير جالسٌ على مقعدٍ واطئٍ، أسفل منها، مراقبًا عملها، ولا يرى منه سوى وجهه الخلفيّ، فيرى عقدًا، وخيوطًا متشابكةً، ويقول لها: "ماذا تفعلين، يا أُمّاه؟ كلّ عملك مشوّشٌ ويفتقر إلى التّناسق. وحينئذٍ، تخفض الوالدة القماش، وتُظهر جهة التطريز الجميلة، حيث يحتلّ كلّ لونٍ مكانه، وحيث تنصهر الخيوط في تناسق الرّسمة.
نحن غالبًا، نرى وجه التطريز الخلفيّ، لأنّنا نجلس على مقعدٍ واطئٍ.

- الوساوس أحذيةٌ شديدة الضيق. فلننبذْها.

- الخوف المفرط يدفع إلى عملٍ خالٍ من الحبّ. والثّقة المفرطة تحول دون روز المخاطر المحتملة. على الخوف والثقة أن يسيرا مسيرة صنوَيْن. فعندما نشعر أنّنا مغرقون في الخوف، علينا أن نزداد ثقةً. ولكن علينا أن نحتفظ بقسطٍ من الخوف. فعندما يرغب الحبّ في هدفٍ يُصاب بالعمى، ولا تنير ضميره سوى مخافة الله.

- لا تُسرف في إنهاك ذاتك بسبب شقاء قلبك لأنّك، بذلك، تفاقم ألَمَك. وكذلك في مقاومة التّجارب، لا تضطرب، واحذر من إطالة التفكير في اقتراحات الشّرّير، بل اكتفِ باحتقارها.

- سيكون صبرك أكثر كمالًا، إذا نأيت عن الهموم النّافلة. وعندما يشاء الله إطالة محنتك، لا تحاول معرفة السّبب.

- إذا استطعنا التزام الصّبر الحقّ في محن الحياة سنكون شهداء، ولكن بمنأًى عن سيف الجلّاد.

- الغمّ هو أسوأ من الشّرّ ذاته. فسرْ ببساطةٍ على دروب الربّ ولا تعذّب فكرك. وليكن فيك نفورٌ مقدّسٌ وهادئٌ من عيوبك، ولكن لا تبغضها بغضًا وبيلًا يزيدها ضخامةً.

★ التّجرّد

- منذ مولدنا يكشف لنا المسيح عن رسالتنا، وهي ازدراء ما يحبّه العالم ويَنشده.

- يُغني الله النفس التي تتجرّد من كلّ شيءٍ.

- هل ترغب في معرفة الوسيلة المُثلى لبلوغ التجرّد التامّ: هي أن نحبَّ ما لم نختَرْه، وما هو الأقلّ عذوبةً واجتذابًا لنا.

ومن هو قادرٌ على منحنا نعمة محبّة التجرّد؟ لا أحد سوى ذاك الذي مات متجرِّدًا حتّى من ذاته.

★ الإفخارستيّا

"إنّ أشدّ ما يؤلمني هو وجود يسوع في القربان المقدّس. صباحًا تستحوذ على نفسي قوّةٌ طاغيةٌ توّاقةٌ إلى الاتّحاد به. وينتابني من الجوع والظمأ إليه، قبل تناوله، بحيث أكاد أموت جوعًا وظمأً... ويزداد هذا الجوع، وهذا الظمأ، بعد تناول الأسرار. ويكاد امتلائي به، الذي يُفعمني عذوبةً، يجعلني أهتف: "كفى، لم يعد لديّ متّسعٌ".

★ العذراء

- عندما تمرّ قرب صورةٍ للعذراء، قل لها: "أُحيّيك، وأرجوك تبليغ يسوعَ تحيّتي".

- أُحبّكِ، يا أمّاه، أكثر من كلّ خلائق السماء والأرض، بعد حبّي ليسوع. ولكنّ حبّي لك كبيرٌ.

- لتكن مريم النّجم الذي ينير دربك، ويقودك إلى الأب السماويّ.

- فلتكن العذراء سبب وجودك، ولتقتدْكَ إلى شاطئ الخلاص الأبديّ. ولتكن لك نموذجًا للعطف، ولتلهمك التّواضع.

- ولْتساعدك مريم على إزهار فضائل دائمة الجدّة في نفسك. إنّها البحر الذي يجب اجتيازه حتّى بلوغ شواطئ بهاء الفجر الأبديّ، فلا تبعد عنها.

- اتّكئ على صليب المسيح، على غرار مريم، فتجد راحةً كبرى، لقد ظلّت مريم واقفةً عند أقدام ابنها المصلوب، ولم يحببها يسوع قطّ، كما أحبّها في لحظات ألمها الذي يستعصي على الوصف.

- بلفظة "نَعَم" واحدةٍ أصبحت مريم أمّ العليّ. بتلك اللفظة التي أعلنت بها عبوديّتها، احتفظت بعفّتها الغالية عليها وعلى الله. وبهذا النَعَم ظفر العالم بالخلاص، وتمّ افتداء البشريّة جمعاء. فلنسعَ، نحن أيضًا، إلى تتميم مشيئة الله، ولنقلْ نَعَم للربّ، دائمًا.
- كانت مريم، أمّ الله وأمّنا تنمو تواضعًا، بقدر ما كانت النّعمة تنمو فيها. هذا ما يجب ألّا يغرب عن بالنا.
- يا أمّاه، أضرمي فيّ حبّي الملتهب لابنكِ، أنا الضعيف. إنّي أدهش أمام سرّ الحبل بك المنزّه عن الدّنس. وأتوسّل إليك أن تطهّري قلبي كي يحبّ الله على نحوٍ أفضل، ويستطيع الارتقاء إليه، ويتأمّله، ويعبده، ويخدمه بالروح والحقّ. وطهّري جسدي كي يصبح محرابًا أقلّ عدم استئهالٍ لتقبّل ابنك عندما يأتي إليه في الإفخارستيّا.
- لا يغربنّ عن بالك أنّ العذراء القدّيسة ولدتنا في الألم والحبّ. ولتنحفر آلام مريم في ذهنك وروحك، وليضطرم قلبك حبًّا لها ولابنها.

- بعد صعود يسوع إلى السماء، كانت العذراء تلتهب رغبةً في الاتّحاد به، وكان فراقها عنه بمثابة منفًى قاسٍ.
- إنّ يسوع يملك في السّماء بطبيعته البشريّة التي استمدّها من مريم. ولذلك ابتغى أن تكون معه، وتشاركه مجدَه مشاركةً كاملةً، بنفسها وجسدها. فجسد مريم الذي لم يكن، لحظةً واحدةً، تحت سطوة إبليس والخطيئة، كان من البديهيّ ألّا يخضع للفساد.
- في مطلع شهر نوّار كتب: "كم يُعلن هذا الشهر ببلاغةٍ، عذوبات مريم وجمالها! لطالما أوكلتُ إلى هذه الأمّ هواجس قلبي المرهَق، ولطالما هي واستني! كم تحبّني تلك الأمّ الطيّبة!... هذا الصباح، هي التي واكبتني إلى الهيكل.
- "كم أودّ أن يكون لي صوتٌ جهيرٌ كي أدعو خطأة العالم أجمع إلى حبّ السيّدة العذراء! ولكن، بما أنّ ذلك غير متيسِّرٍ لي، فأكلّف ملاكي الحارس الحبيب أن يقوم عنّي بهذا الواجب.
- العذراء المنزّهة عن الدّنس هي محطّتنا الأولى على درب الخلاص، إنّها تَفجُّر شعاع نورٍ من فكر الله،

وتُشعّ إشعاع نجمة الصبح على الخليقة كلّها،

إنّها مرجع كلّ شيءٍ، وكلّ نعمةٍ تعبر من خلالها،

هي وحدها قادرةٌ على استيعاب سيول الحبّ المتدفّقة من قلب الله، وهي الوحيدة الجديرة بمقابلتها...

- "أيّتها الأمّ الرقيقة، اجعليني أُحبّ ابنك. اسكبي في نفسي ذلك الحبّ الذي كان يلهب نفسَكِ.

طهّري قلبي، لكي أُحبّ إلهي وإلهك، حبًّا يليق به.

وطهّري فكري، لكي أستطيع عبادته بالروح والحقّ.

وطهّري جسدي، لكي يصبح له مسكنًا مقدّسًا".

ما انفكّ يسوع يتابع مهمّته الفدائيّة، بواسطة التي لا تكفّ تلده في نفوسهم.

من أوصافه للعذراء:

فيض النعمة والفرح - بحرُ النعمة والطُّهر - تحفة الخالق الفريدة - محراب العليّ - مخزن الأسرار الإلهيّة - المرأة لابسة النور - الحمامة الرائعة.

★ صرخة حزنٍ من يسوع

"بأيّ نكران جميلٍ، يُواجه البشر حبّي! لو كانت محبّتي لهم أقلّ ممّا هي عليه، لقلّ ألمي من إهاناتهم لي! لم يعُدْ أبي قادرًا على احتمالهم... صمت يسوع، وتنهّد، ثمّ واصل:

"ولكن، وا أسفاه، قلبي مصنوعٌ للحبّ. إنّ البشر الجبناء والضعفاء، لا يبذلون جهدًا في مقاومة التّجارب، لا بل إنّهم يتمتّعون بخطيئتهم. والنفوس التي أغدقتُ عليها أكبر قدرٍ من حبّي هي الأقلّ وفاءً لي، في مِحَنها، والأقلّ اتّباعًا لي!

النفوس الضعيفة تستسلم للخوف واليأس، والنفوسُ الأوفر متانةً تتراخى شيئًا فشيئًا.

"إنّهم يتركوني وحيدًا ليلًا، ووحيدًا نهارًا في الكنائس. وقد عزفوا عن الاهتمام بالسرّ المقدّس الثّاوي على الهيكل. لقد عزفوا عن ذكر سرّ الحبّ هذا، وحتّى الذين يتحدّثون عنه، فبأيّة لامبالاةٍ، وبأيّ فتورٍ، يتحدّثون!

لقد نسوا قلبي، ولم يعد أحدٌ يحفل بحبّي. فأنا دائمًا حزينٌ. لقد أمسى بيتي للكثيرين مسرح تسليةٍ. حتّى كهنتي الذي أحطتهم، دائمًا، بإيثاري، وأحببتُهم حبّي لبؤبؤ عيني، والذين عليهم مواساة قلبي المترع مرارةً، ومساعدتي على افتداء النفوس، لا ألقى منهم إلّا العقوق والجحود، لا بل حتّى إنكاري إنكارًا كاملًا. إنّي أرى العديد من هؤلاء...

(هنا صمت يسوع، وخنقت العَبَرات حلقه، وبكى بصمتٍ)...

يخونوني من خلال مناولاتٍ مدنّسةٍ، ويدوسون بأقدامهم الأنوار والقوّة التي لا أنفكّ أُغدقها عليهم".

الفهرس

تمهيد ٣
حياةٌ روحيّةٌ ٥
الثّقة بالله ٧
حسن استخدام الوقت ١١
المحبّة ١٣
حبّ الله ١٨
التأمّل ٢٣
الصليب والألم ٢٥
التّواضع ٣١
التّجارب ٣٥
صبرٌ وفطنةٌ وسلام نفسٍ ٣٧
التّجرّد ٤٠
الإفخارستيّا ٤٠
العذراء ٤١
صرخة حزنٍ من يسوع ٤٥
الفهرس ٤٧